

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

فصل في اللفظ والاستعارة وشواهد تحليلية للمعنى .

اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يـَسري في العروق ويـُفسد مزاج البدن وجب أن يتوخى دائباً فيهم ما يتوخى الطبيب في الداء فإنه من تـَعَهَّد به بما يزيد في مـُذـَّتـِه ويـُبقـيه على صحته ويؤمـِّدُه الذـُّكـس في علته . وقد علمنا أن أصل الفساد وسـَـيـَـب الآفة هو ذهابهم عن أنـَّ من شأن المعاني أن تختلف عليها المـُـور وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون فإنك ترى الشاعر قد عمـَد إلى معنـى مبتذل فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شـَـذـفٍ وغيرهما من أصناف الحـُـلي . فإنَّ جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستـَهـواهم وورـَّطهم فيما تورـَّطوا فيه من الجـَهـالات وأدـَّاهم إلى التعلـُّق بالمـُـحالات وذلك أنـَّهم لما جـَـهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسـِـهم أساساً وبنوا على قاعدة فقالوا : إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث . وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للأخر ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة وأن يكون لها مرجع إلى المعنى من حيث إن ذلك زعموا يؤدِّي إلى التناقض وأن يكون معناه متغيراً وغير متغير معاً . ولما أقرُّوا هذا في نفوسهم حـَـملوا كلام العلماء في كلِّ ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبـَـووا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكِّن غير قلق ولا نابٍ به موضعه . إلى سائر ما ذكرناه قـَـيـَلُ فيعلموا أنـَّهم لم يـُـوجـِبوا للفظ ما أوجـَـبـوه من الفضيلة وهم يـَعـَـنـون نطق اللسان وأجـَـراس الحروف . ولكن جعلوا كالمُـواضعة فيما بيـَـنـَّـهم أن يقولوا اللفظ وهم يـُـريدون الصورة